الباب الأول

وسائل الاعلام الدولية
فى ظل السيطرة الثنائية

الفصل الأول

ثورة الاتصال والمعلومات

لا خلاف أن ربع القرن الاخير قد شهد من ألوان النمو والتطور ، ما يتضاءل أمامه كل ما تحقق فى عدة قرون سابقة . . ! ولعل من أبرز وجوه هذا التطور ، ذلك الاندماج الذى حدث بين ظاهرتى : « انفجار المعلومات » و« ثورة الاتصال » .

والمظهر البارز لانفجار المعلومات يتمثل فى « المعالجة الآلية للمعلومات »[١] حيث تمت الاستعانة بالحاسب الآلى فى تخزين واسترجاع خلاصة ما أنتجه الفكر البشرى ، فى أقل حيز متاح ، وبأسرع وقت ممكن .

أما « ثورة الاتصال » ، فقد تجسدت فى « معالجة المعلومات عن بعد »[٢] ، وباستخدام أقمار الاتصال الصناعية ، أمكن لملايين الانباء والبيانات أن تتدفق عبر الدول والقارات والمحيطات ، بطريقة فورية ، ومكتوبة وبالصوت والصورة . . !

وبذلك انفتحت أمام الاعلام الدولى ، أفاق لا حدود لها للنمو والتطور . . !

وعندما تصدت اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال ، والتى اشتهرت باسم لجنة ماكبرايد[٣] ، لتحديد معنى الاعلام ، فقد توصلت بعد بحث طويل ، الى أن المفهوم يجب أن يشمل جمع ومعالجة المعلومات ونشرها من أجل فهم الظروف المحيطة بالاحداث ، للوصول الى وضع يمكن الشعوب من اتخاذ القرارات المناسبة .

ومن المدهش أنه قريب من هذا ، التعريف شبه المعتمد لمعنى « المخابرات » اذ يؤكد « هارى رانسوم »[٤] ، الذى يوصف عادة بأنه مؤرخ وكالة المخابرات المركزية الامريكية أن « المخابرات هى التعبير العصرى عن المعلومات » ، فالموضوع الاساسى لنشاط المخابرات هو تقصى المعلومات المطلوبة لاتخاذ القرارات المناسبة . !

وكما هو واضح فإن المعلومات ، هى القاسم المشترك فى عمل كل من المخابرات ووسائل الاعلام ، حيث يبدأ دور كل منها بجمع المعلومات ، ثم معالجتها بالتحليل أو التفسير ، ولا يختلف طريقها بعد ذلك كثيرا ، إلا فى مدى ما تسمح به مصالح كل منها فى نشر بعض أو كل ما يحصلان عليه من معلومات . . !

واذا كان الشائع ان الطابع الغالب على وسائل الاعلام ، قيامها بنشر أو اذاعة ما تحصل عليه من معلومات على الجمهور ، فى حين يغلب على أجهزة المخابرات حجب معلوماتها ! إلا ان العكس قد يحدث أيضا ، فقد تسعى بعض أجهزة المخابرات الى نشر واذاعة معلوماتها على أوسع نطاق يمكن ، فى حين قد تحرص بعض وسائل الاعلام على حجب الكثير مما تحصل عليه من معلومات . . !

أما الهدف النهائى للحصول على المعلومات ونشرها على نطاق محدود أو واسع ، فهو واحد بالنسبة للاثنين ، وهو المساعدة فى اتخاذ القرارات المناسبة ، ومن المهم أن نلاحظ ان اتخاذ القرار المناسب بالنسبة لشخص ما ، سواء كان رئيسا للدولة ، أو مواطنا عاديا رهن بمدى توافر المعلومات عن الموضوع الذى يحتاج فيه الى قرار ، ولا فرق فى ذلك أن يكون هذا القرار بالنسبة لرئيس الدولة ، هو اعلان الحرب ، أو يكون بالنسبة للفرد العادى ، اختيار نوع العطر الذى يهديه الى زوجته . . !

ولعل هذا يعطينا مؤشرا مهما ، لأن نفسر أسباب حرص الكثيرين على اخفاء حقيقة ان أجهزة المخابرات كانت وراء أكثر المحاولات جدية لتطوير أساليب جمع المعلومات وتوصيلها ، وان ما انفقته تلك الأجهزة على بحوث التطوير فى هذا المجال ، قد لعب دورا يكاد أن يكون حاسما فى انجاز الثورة التكنولوجية فى مجال المعلومات ، وبصرف النظر عن الاغراض التى عمل لها من كانوا وراء هذا التطور ، فقد كانت أبرز

نتائجه اضفاء الطابع الدولى على الكثير من وسائل الاتصال الجماهيرية ، بدءا من الصحافة ووكالات الانباء ، ومرورا بالاذاعة وانتهاء بالتليفزيون والفيديو كاسيت ، لذلك كان الفهم الكامل لابعاد التطور الحاصل فى وسائل الاعلام الدولية ، لا يمكن ادراك مغزاه الحقيقى بدون محاولة استيعاب الطفرة الهائلة التى حدثت فى انتاج المعلومات من ناحية ، والثورة التكنولوجية التى تحققت فى مجال الاتصال من ناحية ثانية .

- ١ -
انفجار المعلومات

ان مصطلح انفجار المعلومات Information Explosion أو فيضان المعلومات Information Flood يشير بشكل أو بآخر الى اتساع المجال الذى تعمل فيه المعلومات ليشمل كافة مجالات النشاط الانسانى ، بحيث تحول انتاج المعلومات الى « صناعة » تنتج « سلعة » ، تخضع لما تخضع له السلع الاخرى من عرض وطلب ، وأصبح لها سوق كبير لا يختلف كثيرا عن أسواق البترول أو الذهب أو غيرهما من السلع ، وقد يزيد ما ينفق على انتاج المعلومات ، على المستوى الدولى ، عما ينفق على الكثير من السلع الاستراتيجية المعروفة فى العالم .

ولقد تمثلت الطفرة فى إنتاج المعلومات فى النمو المتعاظم فى حجم الانتاج الفكرى ، حيث وصل معدل النمو السنوى الى ١٢,٥٪ ، ومعنى ذلك أن حجم المعلومات يتضاعف كل ثمانى سنوات . . !

وتبين الاحصاءات أن الانتاج السنوى من المعلومات ، مقدر بعدد الوثائق المنشورة ، يصل الى حوالى ١٢ - ١٤ مليون وثيقة ، وأن عدد الاشخاص الذين يساهمون فى هذا الانتاج بشكل أو بآخر يقدر بحوالى ٣٠ - ٣٥ مليون شخص . ! (٥) . ولقد بلغ رصيد الدوريات على المستوى الدولى ما يقرب من مليون دورية ، يضاف اليها كل عام ما يقرب من ١٥ ألف دورية جديدة ، أما الكتب فقد بلغ الانتاج السنوى منها حوالى ٦٠٠ ألف عنوان ، أى ١٦٥٠ كتابا كل يوم ، و٧٠ كتابا فى الساعة . . !

وتشير احصاءات اليونسكو الى أن ما بين ٢٠٠ الى ٢٥٠ شخصا من كل ألف من سكان العالم يصلهم توزيع صحيفة يومية فضلا عن استقبال الراديو والتليفزيون ، وهناك ٣٠ دولة فى العالم وصلت الى نقطة التشبع فى مجال الصحف ، و٤٨ دولة وصلت الى نقطة التشبع فى مجال الراديو ، و٢٢ دولة وصلت الى درجة التشبع فى مجال التليفزيون ، وهناك ٢١ دولة قد وصلت الى نقطة التشبع بالنسبة لوسائل الاعلام الثلاث الصحف والراديو والتليفزيون (٦) .

ومن ناحية أخرى يوجد بدول العالم المختلفة ١١٦ مكتبة قومية ، يبلغ رصيدها من المجلدات حوالى ١٦٠ مليون مجلد (٧) ، وتوجد أيضا ما يقرب من ١٢٠ وكالة أنباء دولية ووطنية ، تتعامل يوميا فيما يزيد عن نصف مليون خبر ومعلومة ، ربعها على الأقل مسجل بالصوت والصورة (٨) .

ومن الظواهر اللافتة للنظر ، تنامى الدور الذى تقوم به الدولة الحديثة فى مجال انتاج المعلومات ويرجع ذلك الى تعدد وظائف الدولة وتشعب مهماتها ، فادارة المطابع التابعة لحكومة الولايات المتحدة الامريكية مثلا ، تتلقى يوميا كميات من الورق مقدارها عشرون عربة سكة حديد تمون نشاطا طباعيا يكلف سنويا مائتى مليون دولار ، أما غرفة المقاصة الخاصة بالمعلومات العلمية والتكنولوجية الفيدرالية فانها تحتوى على ملايين النسخ من حوالى ٦٠٠ ألف تقرير بحثى يضاف اليها كل عام ٥٠ ألف تقرير جديد ، وتمثل هذه التقارير المخصصة للبيع بعض نتائج البحث التكنولوجى المدعم فيدراليا .

ولقد بلغ إجمالى الانفاق الفيدرالى فى مجال المعلومات المتعلقة ببحوث التطوير فى مجال الزراعة والتجارة والدفاع ولجنة الطاقة النووية والطيران والصحة والتعليم والداخلية والعلوم حوالى ١٥ مليار دولار سنويا (٩) . . !

ويشكل الجانب الخاص بتلبية احتياجات الدولة بالمعلومات فى المجال العسكرى والأمن القومى قدرا كبيرا من حجم انتاج المعلومات الحكومية ، وعلى سبيل المثال ، فى حوزة الجيش الامريكى ما يزيد عن ٣٥٠ مركزا مستقلا للسجلات تشتمل على ملفات ضخمة تتعلق بالنشاط المدنى ، فلديها حوالى ١٠٠ ألف ملف لشخصيات مدنية لا تربطهم أية صلة بالقوات المسلحة ، ولدى المخابرات العسكرية ٢٥ مليون بطاقة ترمز لملفات تتعلق بالافراد ، و٧٦٠ ألف بطاقة لملفات متعلقة بتنظيمات وأحداث معينة ، أما مكتب التحقيقات الفيدرالية والمباحث FBI فانه يحتفظ بملفات تحتوى على ثلاثة ملايين بطاقة مسجل عليها المعلومات الاساسية حول المشكلات المحتملة ، وهناك قائمة تحتوى على ٢ مليون بطاقة مسجل عليها التحريات الشخصية المتعلقة بالمستخدمين ، وقد بلغ الانفاق المباشر على العمليات المتعلقة بالمعلومات بوكالة المخابرات المركزية من عام ١٩٦٠ حتى عام ١٩٦٧ ما يتراوح بين ٥٠٠ و٧٥٠ مليون دولار سنويا ، والواقع ـ كما يقول شيللر ـ ان هذا التقدير أقل من الواقع اذا ما قورن بتقديرات أخرى ، وفضلا عن ذلك فان المخابرات المركزية ، هى مجرد وكالة من ست وكالات على الأقل تعمل فى نشاط المخابرات خارج البلاد ، ففى عام ١٩٧٠ قدرت تكاليف أنشطة جمع المعلومات على مستوى العالم عن طريق المخابرات التابعة للبنتاجون والمستقلة تماما عن المخابرات المركزية بحوالى ٢,٩ مليار دولار سنويا ، كما قدرت التكلفة السنوية لمجمع أنشطة المخابرات التى تقوم بها حكومة الولايات المتحدة بحوالى ٥ مليارات دولار ، وهذه المبالغ تتضاعف مرة كل عشر سنوات ! . وترجع بعض المصادر ان ٢٠٠ ألف شخص على الاقل يشاركون فى هذه العمليات خارج البلاد منهم ١٥٠ ألفا من العسكريين . . ! [١٠] .

ولقد أدى تزايد الحاجة الى خدمات المعلومات الى البحث الجدى فى استخدام الامكانيات التكنولوجية الحديثة فى معالجة المعلومات ، وقد بدأ ذلك منذ وقت بعيد نسبيا ، ولعل أهم هذه المحاولات ، ابتكار المصغرات الفيلمية ، وهى عبارة عن أوعية تسجل عليها البيانات عن طريق التصوير المصغر من الوثائق الاصلية باستخدام أجهزة تصوير خاصة ، ومن أهم تلك المصغرات الميكروفيلم Microflim وهو يأخذ شكل لفاف Roll أو شرائح شفافة Strips ، وهناك الميكروفيش Microfiche وهو على هيئة شريحة فلمية توضع فى حافظة Jacket ، وهناك أيضا المعلومات المصغرة Micro - opaque ، وهى شريحة فيليمة تسجل الصور فيها على مواد معتمة وتسمى أحيانا بالبطاقات المصغرة Micro Cards والمصغرات بكافة أشكالها لا يمكن قراءتها بالعين المجردة ، ولهذا تستخدم أجهزة استرجاع خاصة بها مثل جهاز قارىء الميكروفيلم ، وقارىء الميكروفيش وغيرهما (١١) .

وقد حقق استخدام الميكروفيلم فى مراكز المعلومات الاعلامية ، وفرا يصل الى ما بين ٩٥٪ و٩٩,٩٪ من الحيز المطلوب لحفظ المعلومات ، خاصة ان مشكلة توافر المكان الملائم لحفظ المعلومات ، كانت أهم المشكلات التى تعانى منها مراكز المعلومات الاعلامية ، أمام الكميات الهائلة من المعلومات التى تنتج يوميا ، كذلك فان المادة التى يصنع منها الميكروفيلم أقوى وأطول عمرا من المواد المستخدمة فى الكتب والوثائق والدوريات ، وبالتالى فالمصغرات الفيلمية يمكن أن تعيش أكثر من مائة عام ، ويمكن تجديدها بسهولة لكى تعيش الى ما لا نهاية (١٢) .

وقد أدت الطفرة الهائلة فى انتاج المعلومات ، الى طفرة مشابهة فى مجال تخزين واسترجاع المعلومات ، فقد تم ابتكار الاشرطة الممغنطة والذاكرة التكنولوجية Buble Memory والهولوجراف Holography الذى يقوم على التسجيل الميكروفيلمى والبصريات الشفافة Fiberopitc والتى تقوم على المعالجة الآلية للمعلومات عن طريق الحاسب الآلى .

وعندما دخلت الحاسبات الآلية بامكانياتها الهائلة فى مجال اعداد المعلومات الكترونيا ، أعتبر الميكروفيلم الحل المثالى لمشكلة فارق السرعة بين وحدة معالجة البيانات وبين المدخلات والمخرجات فى الحاسب الآلى ، كذلك ساهم استخدام الحاسب الآلى فى تحقيق التوحيد القياسى لمقاسات صور الوثائق بعد فترة من المعاناة بسبب تباين أحجامها واختلاف أشكالها (١٣) .

وقد توافق التطور فى مجال حفظ المعلومات واسترجاعها آليا ، مع تطور آخر فى اشكال المؤسسات العاملة فى مجال تخزين المعلومات فقد ظهرت أولا مراكز المعلومات ، ثم تحول بعضها الى بنوك للمعلومات ، وبمرور الوقت وجدت شبكات للمعلومات ، وبذلك أمكن تحقيق انجاز كبير فى مجال تخزين واسترجاع المعلومات مع خفض التكلفة وخفة الوزن وصغر المكان ، كما أمكن التغلب على مشكلات الفقد والضياع وأخطاء الترتيب ، مع امكانية استخدام المعلومة بواسطة عدة أشخاص فى نفس الوقت .

وقد انخفضت تكلفة تخزين المعلومات بما يقرب من ٢٠٪ خلال الخمسة عشر عاما الأخيرة ، كما ارتفعت سرعة استرجاع المعلومات الى قرابة ١٠٪ فى السنة الواحدة (١٤) .

- ٢ -
ثورة الاتصال

من الملاحظات اللافتة للنظر أن النمو فى ظاهرة انتاج المعلومات ، وما رافقها من ابتكار الوسائل الفنية الحديثة فى حفظ واسترجاع المعلومات ، قد توافق مع نمو ظاهرة الثورة التكنولوجية فى وسائل الاتصال ، والتى هى أدوات نقل وتوصيل المعلومات وتبادلها ، وقد وجدت علاقة جدلية بينهما ، بحيث ان ظهور ابتكار جديد فى أى مجال منهما ، يؤدى بالضرورة الى ابتكار آخر فى المجال الثانى ، يكمله ويساعد فى الوقت نفسه على ظهور ابتكار ثالث فى المجال الأول ، وهكذا تباعاً ، بحيث صار انفجار المعلومات ، والثورة التكنولوجية فى وسائل الاتصال ، أشبه بوجهى عملة واحدة . . !

ولقد تعاقبت الاكتشافات التكنولوجية فى مجال الاتصال منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، عندما اكتشف اديسون الفونوغراف واخترع صمويل مورس التلغراف فى عام ١٨٤٠ ، وفى عام ١٨٧٦ أرسل بيل أول رسالة تليفونية سلكية ، وكذلك نجح ماركونى فى ارسال واستقبال رسائل لاسلكية ، وفى عام ١٩٠٦ م بث فيسندر الصوت الانسانى عبر الاذاعة ، وكان داجير قد اخترع فى عام ١٨٣٩ أسلوبا علميا للتصوير الفوتوغرافى ، وتم تصوير أول فيلم عام ١٨٩٤ م ، وفى عام ١٩٠٤ تم ارسال أول الصور برقيا ، وأذيعت أول صورة تليفزيونية عام ١٩٢٣ م ، وأقيمت أول شبكات الارسال الاذاعى فى العشرينيات ، فى حين بدأ الارسال التليفزيونى الملون عام ١٩٥٤ م ، وفى عام ١٩٥٧ بدأ الاتصال السريع فيما بين القارات عبر الكابل البرقى تحت ماء المحيط الاطلسى بين امريكا وأوربا ، وبدأ تشغيل أول كابل تليفزيونى عبر

الاطلسى عام ١٩٥٦ ، وتم اطلاق أول قمر صناعى تجارى للاتصالات فى عام ١٩٦٢ [١٥] .

وقد كان للتزاوج بين تكنولوجيا الحاسب الآلى ، والأقمار الصناعية أثر مذهل فى تطور وسائل الاتصال عبر الدول ، حيث أصبح التبادل الثنائى والارسال من عدة دول فى آن واحد ، ممكنا على المستوى العالمى ، وذلك عبر القمرين الصناعيين انتلسات (١٩٦٥) وانترسبوتنك (١٩٧١ م) وأمكن عن طريقهما ارسال جميع أنواع الرسائل عبر الفضاء ، بما فيها التليفون والتلغراف والتلكس والمواد المطبوعة والصور والبيانات ، بالاضافة الى البرامج الاذاعية والتليفزيونية ، وقد أمكن الآن تحقيق الانتشار الفورى للرسائل التى يبعث بها انتلسات وانترسبوتنك على مستوى عالمى بالربط بين الشبكات الارضية الوطنية والاقليمية ، ثم ابتكرت نظم بمقدورها بث البرامج لاجهزة الاستقبال فى البيوت مباشرة فى دولة واحدة أو مجموعة دول ، ثم الى أية دولة فى العالم وأخيرا أمكن ارسال واستقبال الرسائل فى ذات اللحظة فى جميع أنحاء العالم [١٦] .

كذلك تم احراز تطور تقنى شامل فى كافة وسائل الاتصال ، فقد تم اختراع الفيديو كاسيت فى عام ١٩٦٩ م ، وأصبح الكاسيت السمعى المرئى حقيقة قابلة للتسويق فى عام ١٩٧١ م ، وأصبح أول نظام للفيديو ديسك متوافراً لمستخدميه فى عام ١٩٧٩ م [١٧] ، وفى مجال الراديو ابتكرت الكابلات المحورية والموجات القصيرة جدا والالياف البصرية ، وهو الأمر الذى قضى على مشكلات التداخل بين الموجات ، وزاد من كفاءة البث عبر المسافات البعيدة ، كما أنه يوفر قنوات جديدة للاتصال ، كما حدث تقدم مبهر فى مجال الاستشعار عن بعد ، باستخدام الموجة الدقيقة من الطيف الترددى والقادرة على الوصول الى معلومات لم تكن متاحة بالوسائل التقليدية عن باطن الارض وأعماق البحار والمحيطات وأجواء الفضاء .

وقد زادت بشكل عام فعالية الاتصالات الهاتفية ، وابتكر الهاتف المرئى الذى يضيف الصورة الى الصوت ، وقد لا يمر وقت طويل حتى يتم تعميم خدمة التليفون المرئى فى العديد من المناطق وخاصة فى الدول المتقدمة ، ويحمل المستقبل القريب امكانيات غير محدودة لنمو تكنولوجيا المعلومات والاتصال فى السنوات العشرة القادمة ومن المتوقع ان نصف الانتاج العلمى فى العالم سيكون متوافرا فى بنوك المعلومات الآلية ، وأن ٩٠٪ من التقارير الفنية الجديدة ستصدر بالشكل الالكترونى ، وأن ٢٥٪ من الصحف والدوريات ستأخذ الشكل الالكترونى [١٨] .

- ٣ -
أفاق جديدة للاعلام الدولى

لا نتجاوز الحقيقة عندما نقول ان انفجار المعلومات وثورة الاتصال ، قد أضفيا بشكل عام طابعا دوليا على كافة وسائل الاعلام الجماهيرية ، وقد أصبح من الصعوبة بمكان التفرقة الدقيقة بين ما هو اعلام وطنى وما هو أعلام دولى ، فالاعلام الوطنى الذى ينتجه مجتمع ما لمواطنيه ، قد أصبح له ، بشكل من الاشكال ، ومقصودا أو غير مقصود ، بعدا دوليا ، فالبرامج التى تبثها محطات التليفزيون فى الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى وكندا واليابان ودول غرب أوربا ، والتى أعدت من الأساس لجمهورها المحلى ، أصبحت تشاهد عبر الأقمار الصناعية فى انحاء متفرقة من العالم ، وقد اكتسبت بذلك بعدا دوليا لم تسعى اليه أصلا ، ولكن تطور تكنولوجيا الاتصال جعل ذلك ممكنا ، كذلك فان برامج محطات الراديو الوطنية فى معظم دول العالم ، أصبحت تسمع فى أماكن أبعد من حدودها الوطنية ، بفضل تطوير امكانات الموجات المتوسطة والقصيرة ، وبرامج هذه المحطات ـ بخلاف الاذاعات الموجهة ، يستهدف فى الاصل المستمع المحلى ، ولكن التطور التكنولوجى أضاف اليها بدرجة ما بعدا دوليا .

نفس الظاهرة تنسحب أيضا على الصحف سواء منها الجرائد اليومية أو المجلات الاسبوعية أو الشهرية أو الفصلية ، فان التقدم الكبير فى وسائل المواصلات اختصر الكثير من الوقت والجهد والمال اللازم للتوزيع خارج الحدود الوطنية ، وقد شجع هذا التطور العديد من الصحف المحلية ، وخاصة التى تصدر باللغات الأكثر تداولا فى العالم ، على التواجد فى الاسواق العالمية ، أما الصحف الدولية من الاصل ، فقد زادت فعاليتها

واتسع مجال انتشارها ، ووصلت الى أماكن لم تصل اليها من قبل بفضل تطور تكنولوجيا الاتصال (١٩) ، فعن طريق جهاز الفاكسميلى مثلا أمكن ارسال صفحات الجريدة بالكامل من المقر الرئيسى الى أى مكان آخر فى العالم ، حيث تطبع وتوزع على القراء فى نفس الوقت الذى تطبع وتوزع فى مقرها الرئيسى ، ولم يعد مستغربا أن نجد صحفا دولية تطبع فى عشر عواصم فى وقت واحد . . ! (٢٠)

ان التطور قد شمل كافة مجالات الاعلام الدولى بدءا من جمع المعلومات ومرورا بمعالجتها وانتهاء بنشرها أو اذاعتها على المستوى الدولى ، وقد وفرت مراكز وبنوك المعلومات الاعلامية خدمات لا بديل عنها لكافة المشتغلين بالاعلام الدولى من مندوبين أو مراسلين أو محررين فى مختلف وسائل الاعلام التى تعمل على النطاق الدولى ، فهى تمدهم بالمعلومات والحقائق الخلفية للأحداث الدولية الجارية ، وتضع أيديهم على الكثير من مصادر المعلومات والتى كان من الصعب ان تتاح لهم بالوسائل التقليدية ، وهى تتولى اعداد القوائم الببلوجرافية والملخصات المتصلة بالموضوعات التى تدخل فى مجال اهتمام وسائل الاعلام الدولية ، كما انها تقوم فى كثير من الاحيان بتقديم خدمات الترجمة وملخصات الكتب والدوريات ، وتحيط العاملين بوسائل الاعلام دوريا بالاحداث الجارية أو بكل ما يستجد فى مجالات اهتمامهم أو التى ذات صلة بها ، مما يساعدهم على متابعة الجديد فى تخصصاتهم وبشكل منتظم ، وخاصة ان كافة مجالات النشاط الاعلامى ، مهما بلغ التخصص الدقيق فيها ، أصبحت تواجه بفيض من المعلومات التى لم يعد باستطاعة العاملين بوسائل الاعلام الاحاطة بها بجهدهم الفردى .

وقد أدى استخدام الحاسب الآلى فى المعالجة الآلية للمعلومات وفى الاتصال الدولى ، الى تمكين المكاتب الخارجية لوسائل الاعلام والمراسلين

الخارجيين من الاستفادة الفورية بامكانات مراكز المعلومات وبنوك المعلومات الاعلامية ، والتى غالبا ما توجد بالمركز الرئيسى للمؤسسة الاعلامية ، ولقد أصبح ممكنا الاتصال الفورى بين المكاتب الخارجية والمراسلين الخارجيين فى أى مكان بالعالم ، وبين المقر الرئيسى للمؤسسة الاعلامية (٢١) .

وفى الوقت الذى دعمت فيه التطورات التكنولوجية من دور وكالات الانباء الدولية والوطنية فى تحقيق اغراض الاعلام الدولى ، فقد أدت من ناحية أخرى الى تزايد الطلب على الانباء المرئية ، مما أوجد نوعا جديدا من وكالات الانباء المتخصصة فى أشرطة الفيديو وأفلام التليفزيون الاخبارية ، وقد أحدثت هذه الوكالات المصورة نقلة ضخمة فى الاعلام الدولى ، حيث توفر لوسائل الاعلام ، وبطريقة فورية ، أنباء الاحداث الدولية الجارية بالصوت والصورة (٢٢) .

وقد تأكد الآن ان أكبر انجاز حققته الثورة التكنولوجية فى مجال الاتصال ، ان المسافات لم تعد عقبة أمام تبادل الانباء والمعلومات على المستوى الدولى ، وأمكن قيام نظام اتصال عالمى يربط بين أى بقعة وأخرى على كوكب الارض .

وفى البداية قوبلت ظاهرة انفجار المعلومات وثورة الاتصال بترحيب مبالغ فيه من كافة الامم ، وكان الامل يحدوها جميعا فى أن تعم فوائدها على الكافة ، ورغم ان بعض الدول النامية قد أبدت تخوفا مما كان يحدث من تحول لبعض وسائل الاعلام الغربية الى الطابع المؤسسى الدولى الضخم ، وان هذا التحول قد يهدد حرية التبادل الدولى للانباء والمعلومات ، الا ان العديد من الاصوات ارتفعت لتؤكد ان التدفق الهائل للمعلومات سوف يوازن بين سيطرة الاحتكارات على المؤسسات الاعلامية الدولية الكبرى وبين حرية تبادل الانباء والمعلومات ، وان قوة

الانباء والمعلومات على الانتشار سوف تقلل من هيمنة الاحتكارات المالكة لوسائل الاعلام الدولية (٢٣) .

ولكن الأثار التى نجمت عن تطور تكنولوجيا المعلومات والاتصال ، قد خيبت الامال التى عقدت عليها ، واسكتت الاصوات المتفائلة ، اذ أدى التطور التكنولوجى الى زيادة الفجوة بين الدول الصناعية المتقدمة من ناحية والدول النامية من ناحية أخرى حيث وجدت دول تتمتع بوفرة فى الانتاج الاعلامى ، ودول أخرى تعانى من مجاعة فى هذا الانتاج .

ونتيجة للتكاليف الباهظة التى يتطلبها انشاء البنية الاساسية الملائمة لتخزين البيانات والمعلومات ، فضلا عن نفقات تطويرها وصيانتها بل واستخدامها ، فقد عجزت معظم الدول النامية عن السير فى هذا السباق ، ولم تستطع أن تتحمل تكاليفه سوى الدول الصناعية المتقدمة ، ولعل هذا هو السبب فيما تعانيه اليوم الدول النامية من شح شديد فى المعلومات اللازم توافرها قبل اتخاذ القرارات السياسية والاقتصادية ، وهو السبب أيضا فى الصعوبات التى تواجه تلك الدول ، اثناء المفاوضات بينها وبين الدول المتقدمة أو مع الشركات المستوردة أو المصدرة فى الاسواق العالمية ، وهذا أحد المجالات التى يكون فيها تدفق المعلومات والحصول عليها بكفاءة ، شرطا أساسيا لتخفيف درجة التبعية (٢٤) فى العلاقات السياسية والاقتصادية والاعلامية على المستوى الدولى .

ومن الامثلة الصارخة للمضار التى تقع على الدول النامية ، ما حدث من تطور مذهل فى تكنولوجيا الاستشعار عن بعد ، التى صارت تهدد السيادة الوطنية للشعوب التى يجرى مسحها ، إذ تمكنت الدول المتقدمة من الحصول على معلومات هامة عن الدول النامية ، لا يتوافر أغلبها لدى هذه الدول نفسها .

ان الفجوة تتسع يوما بعد يوم بين الدول المتقدمة والدول النامية فى كافة مجالات الاتصال والمعلومات ، وهو الأمر الذى يعوق تحقيق أهداف الاتصال والاعلام الدولى ، وتشير الاحصاءات الحديثة لليونسكو (٢٥) ، ان الدول الصناعية المتقدمة تستخدم ٩٢٪ من الطيف اللاسلكى ومن المدار الذى تطلق اليه الاقمار الصناعية ، وأن هذه الدول تملك ٩٨٪ من امكانات الحاسب الآلى ، وان ٧٠٪ من سكان العالم ، وهم أبناء الدول النامية فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية لا يملكون سوى ٤٠٪ من الصحف الصادرة فى العالم و٢٢٪ فقط من عدد النسخ المتداولة ، وان ٤٨٪ من أجهزة الراديو توجد فى أمريكا الشمالية و٣٢٪ فى أوربا ، فى حين لا يزيد نصيب آسيا عن ١٢٪ وأمريكا اللاتينية عن ٥٪ وافريقيا ٣٪ فقط وبالنسبة لاجهزة التليفزيون ، فهى تصل الى ٣٧٪ فى امريكا الشمالية و٣٤٪ فى أوربا و١٦٪ فى آسيا و٩٪ فى امريكا اللاتينية و٣٪ فقط فى افريقيا . . !

أما فى مجال انتاج الكتاب فان الولايات المتحدة وأوربا والاتحاد السوفيتى وكندا واستراليا ونيوزيلنده واليابان ، تنتج ٨١٪ من مجموع الكتب فى العالم ، فى حين لا تضم هذه الدول أكثر من ٣٠٪ من مجموع سكان العالم ، مما يدل على أن ٧٠٪ من سكان العالم من أبناء الدول النامية لا ينتجون سوى ١٩٪ فقط من مجموع الكتب الصادرة سنويا (٢٦) .

ولعل النموذج الصارخ اليوم للفجوة الهائلة بين الدول الصناعية المتقدمة والدول النامية ، يوجد فى قارة آسيا ، فحين لا يزيد عدد سكان اليابان عن ٥٪ من سكان القارة ، الا أنها تحصل على ٦٦٪ من توزيع الصحف فى القارة ، و٤٦٪ من أجهزة الراديو و٦٣٪ من أجهزة

التليفزيون و٨٩٪ من أجهزة الهاتف ، ومن المتوقع أن تزيد نسبة التفاوت التكنولوجى بين اليابان وبقية دول القارة الآسيوية الى النصف كل عشر سنوات (٢٧) .

ويوجد مظهر آخر لمخاطر الثورة التكنولوجية فى مجال المعلومات ، على البناء السياسى داخل الدول المتقدمة نفسها ، ثم على العلاقة بين هذه الدول ، وغيرها من الدول النامية ، فقد تضخمت امكانات المؤسسات الخاصة العاملة فى مجال انتاج المعلومات فى الدول المتقدمة ، وأصبح لها نفوذ كبير على عملية صنع القرار على المستوى الوطنى (٢٨) ، وغالبا ما يتعدى هذا النفوذ الحدود الوطنية إلى المستوى الدولى ، وخاصة بالنسبة للمؤسسات ذات النشاطات الدولية ، أو المؤسسات المتعددة الجنسية(٢٩) ، وهو الأمر الذى أصبح يهدد ديمقراطية الاتصال والاعلام ، سواء على المستوى الوطنى أو الدولى ، وعلى سبيل المثال فان اجمالى الميزانية السنوية للمكتب القومى الامريكى للكفاية الانتاجية ، وهو فرع من وزارة التجارة ، يبلغ ٥٠ مليون دولار ، فى حين أن الانفاق السنوى على بحوث التطوير والمعلومات فى احدى المؤسسات الامريكية الخاصة والعاملة فى نفس المجال وهى شركة IBM يصل الى ٥٠٠ مليون دولار ، ، أى عشرة أضعاف ميزانية المكتب ، وهو الأمر الذى يجعل المكتب القومى للكفاية الانتاجية عاجزا عن مراقبة الاداء الجماعى الوطنى والدولى للشركة ، وهو ما يؤدى الى تحكم وجهات نظر ومصالح الشركات الكبرى فى عملية صنع القرار الحكومى ، ولم يكن غريبا فى مثل هذه الحالة أن يستقيل مدير المكتب القومى للكفاية الانتاجية عام ١٩٧٢ م ليصبح نائبا للرئيس ورئيسا لفريق العلماء فى شركة IBM (٣٠) .

ان صورة المستقبل تبشر بآفاق لا حدود لها لتطور تكنولوجيا الاتصال والمعلومات فى الدول الصناعية المتقدمة ، ولكن الوجه الآخر من

الصورة ، والذى يتعلق بالدول النامية ، كئيب ويحمل أبعادا لا حد لها من الشرور ، ورغم ذلك يظل الامل قائما فى ان تتوصل البشرية الى تعميم فوائد هذا التطور ، بحيث لا يظل حكرا على الدول القادرة ، فى حين تحرم منه الدول الاقل قدرة فمن المهم للسلام والأمن الدولى ان يستغل التقدم التكنولوجى فى مجال الاتصال والمعلومات لتحسين التفاهم بين الشعوب ، وتعزيز الديمقراطية داخل كل بلد ، وفيما بين الدول وبعضها ، بدلا من أن يستخدم فى دعم المصالح الخاصة على المستوى الوطنى أو تكريس سيطرة عدد محدود من الدول على المستوى الدولى .

الهوامش

(١) Brown. Lance: Computer Net work: (SAGE Publication). Bevery Hills, California, U.S.A. 1989. p.p.122- 125.

(٢) Merrill. John: New Technology, Eletronic Communication. «Holt, Renehort and Winston» New York. 1990. p.p.12- 13.

(٣) ماكبرايد . شون : أصوات متعددة وعالم واحد ، الاتصال والمجتمع ـ اليوم وغدا . « اليونسكو ـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع » . الجزائر ، ١٩٨١ ، ص ٥٧٥ ـ ٥٧٦ .

(٤) Ransom. Hrry Howe: The Intelligence Establishmen. «Harvard University Press» U.S.A. 1970. p.p.8- 10.

(٥) الوردى . زكى : مختارات من مصطلحات علوم المعلومات والاتصالات . « مجلة التوثيق الاعلامى » المجلد الخامس ، العدد الثانى ، السنة الخامسة ، بغداد ، ١٩٨٦ . ص ١٠٦ .

(٦) Unesco: World Communication. «The Unesco Press.» Paris, 1990, p.p.63- 65.

(٧) ماكبرايد . شون : أصوات متعددة وعالم واحد . ص ١٥٦ .

(٨) Curtis. Ted: News Agency. «The Free Press». New York, 1989, p.p.12- 14.

(٩) شيللر . هربرت : المتلاعبون بالعقول . « عالم المعرفة » . الكويت . ١٩٨٦ . ص ٤٣ ، ٤٤ ، ٥١ .

(١٠) المصدر السابق : ص ٥٣ ـ ٥٥ .

(١١) الوردى . زكى : مختارات من مصطلحات علوم المعلومات والاتصالات . ص ١١٩ .

(١٢) عبدالهادى . فتحى وآخرون : مراكز المعلومات الصحفية . « دار المريخ » . الرياض . بدون تاريخ . ص ١٧٣ .

(١٣) المصدر السابق . ص ١٧٤ .

(١٤) المصدر السابق . ص ١٨٥ ـ ١٨٦ .

(١٥) ماكبرايد . شون : أصوات متعددة وعالم واحد . ص ٤٣ .

(١٦) Unesco: World Communication.P.P.27-29.

(١٧) ماكبرايد . شون : أصوات متعددة وعالم واحد . ص ٤٣ ـ ٤٥ .

(١٨) رجب . ماجد حبوك : المجلة العلمية عام ٢٠٠٠ ورقية أم الكترونية . « مجلة التوثيق الاعلامى » المجلد الخامس ، العدد الثانى . السنة الخامسة ، بغداد ، ١٩٨٦ . ص ١٧ ، ١٨ .

(١٩) Emery. Edwin: World press. «Random House» New York. 1988. p.112.

(٢٠) Frank. Brone: The New Journalist. «Heinemann» London. 1989. p.p.217- 221.

(٢١) عبدالهادى . فتحى وآخرون : مراكز المعلومات الصحفية . ص ١٨٥ ـ ١٨٦ .

(٢٢) ماكبرايد . شون : أصوات متعددة وعالم واحد . ص ١٥٨ .

(٢٣) Kivikuru. Ullamaija: Approaches to International Communication. «Finnish National Communication for Unesco». Helisnki. 1986. p.p.72- 74.

(٢٤) ماكبرايد . شون : أصوات متعددة وعالم واحد . ص ١٥٦ ـ ١٥٧ .

(٢٥) Unesco: World Communication. p.14, 22, 87.

(٢٦) قاسم . حشمت : مصادر المعلومات . « مكتبة غريب » القاهرة : بدون تاريخ ، ص ٤٢ ـ ٤٣ .

(٢٧) Unesco: World Communication. p.107.

(٢٨) Boyd. Barrett: Mass Communication and Society. «Longman». New York. 1988. p.p.42- 45.

(٢٩) Merril. John: Global Journalism. «Longman». New York. 1983. p.p.67- 69.

(٣٠) شيللر . هربرت : المتلاعبون بالعقول. ص ٤٨ ، ٤٩ .